صيغة كيرلس «طبيعة الله الكلمة الواحدة المتجسدة (أو اقنوم الله الواحد)» وخلقيدونية[1]

قدس الأب الأستاذ يوحنا رومانيذس

يقبل الخلقيدونيون واللاخلقيدونيون كلاهما صيغة كيرلس بكونها الدليل الآبائي الأول على المسيحانية الارثوذكسية، لكنهما يتهمان أحدهما الآخر بعدم الإخلاص الكلي لكيرلس.

يرفض اللاخلقيدنيون الإرثوذكسيون مجمع خلقيدونية ويتهمونه بالنسطورية لأنه قبل كتاب (طوموس) لاون، «طبيعتان بعد الإتحاد»، وحذف وفق زعمهم عبارات كيرلس من تحديده الإيماني مثل عبارة طبيعة الله الكلمة الواحدة المتجسدة، وعبارة اتحاد اقنومي أو طبيعي وعبارة من طبيعتين أو المسيح الواحد هو من اثنين. ففشل خلقيدونية في استخدام بنود كيرلس الاثني عشر استخداماً كاملاً وإدانة مسيحانية ثيودور (المبسوستي) وقبوله لثيوذوريتس (القروشي) وايباس (الرهاوي) جعلاه موضع شبهة. ثمّ هناك الإتهام الخطير وهو أن وضعه لتحديد جديد للإيمان عارض قرار افسس (٤٣١)،

---

١ ـ يفترض هذا البحث إطلاعاً على مقالتي
«Highlights' in the debate over theodore of Mopsuestia's christology», in the Greek Orthodox Theological review, vol V, no 2 (1959-60), PP. 157,161.

الـذي قضى بأنـه يُحظّر عـلى كـلّ من يقـدّم أو يكتب أو يضـع عقيدة أخرى سوى ما حدّده الآباء القديسون المجتمعون بالـروح القدس في نيقية [٢]

ومـن جهة أخرى يعتقـد الخلقيـدونيون الارثـوذوكسيون أن مسيحـانيـة كيرلس لم تُقْبـل كليّـاً في افسس فحسـب، بـل كـانت قـاعـدة لكـلّ الأحكـام المسيحـانيـة في خلقيـدونيـة عـام ٤٥١ وخاصة في مجمع القسطنطينية عام ٥٥٣. على الرغم من نقائص كتـاب لاون (طومـوس لاون) فهو ارثـوذكسي على نحـو كـاف، وغـير نسطوري تحـديداً، إذا مـا نُـظِر إليـه في ضـوء الـرسـائـل المجمعيـة (وخصوصـاً الاثني عشر بنداً) التي كتبها كـيرلس الى نسطوريوس ويوحنا الانـطاكي وإذا ما أُخضـع لها، كـما سنرى. إنّ مصطلح كيرلس وايمانه قبلا كلياً، مع أن الهرطقة الافتيخية، التي هي الإهتمام الرئيسي للمجمـع، اقتضت تكيّفاً مـع الوضـع الجديد. لعلّ المرء يشير إلى أن قبول التحديد الخلقيـدوني لم يكن مختلفـاً عن قبول رسـائل كـيرلس في افسس. فـلا العمـل الأول يمكن اعتبـاره تأليفـاً لدستـور إيماني جـديد ولا الثـاني؛ فكلاهمـا تفـاسـير وتـوضيحـات لـلإيمـان النيقـاوي عـلى ضـوء الـظروف الجديدة. وما يستحق الذكـر هو أنـه كان عـلى كيرلس نفسـه أن يُدَافع عن نفسه ضد إتهامه بقبول عقيدة جديدة أثناء تراسله مع يوحنا الانطاكي لاصلاح ذات البين[٣]. أما ثيوذوريتوس وايباس

---

٢ - *Mansi*, IV, 1361.

٣ - *P.G.*, 77, 188.

فأُعيدا إلى الأسقفية، لأنهما قبلا مجمع افسس الأول وقبلا بشكل خاص **البنود الاثني عشر**، وهذا القبول هو في حدّ ذاته إدانة لِما كُتب عن كيرلس وابسالاته وضده. والمجمع المسكوني الخامس المنعقد سنة ٥٥٣ أبسل كتابات ثيودور وايباس ضد كيرلس وأبسل شخص تيودور، أبي النسطورية.

كان اللاخلقيدونيون الارثوذكسيون يتّهمون طيلة قرون عديدة الخلقيدونيين الارثوذكسيين بأنهم نسطوريون. ومن جهة ثانية كان الخلقيدونيون يتهمون اللاخلقيدونيين إما بأنهم مونوفيزيون (وهذا يعني عندهم أنهم مؤمنون **بجوهر واحد** في المسيح) أو بأنهم مصرّون اصراراً متحيّزاً على مصطلح كيرلس إلى حدّ منع كيرلس نفسه من قبوله طبيعتين في الإعتراف الإيماني ليوحنا الانطاكي الذي سبّب مصالحة عام ٤٣٣. هذا التحيّز يقبله مجمع افسس عام ٤٤٩ الذي رفضه مجمع خلقيدونية. يجب الإشارة إلى أن المجمع الفلافياني Endemousa synod المقيم الذي عُقد عام ٤٤٨ كان متحيزاً في استعمال مصطلح كيرلس وإصراره عليه، ما استخدمه في مصالحة عام ٤٣٣، إلى حدّ اقصاء طريقة كيرلس الطبيعية تقريباً في كلامه على التجسد. فمن خلقيدونية وعلى الأخص من مجمع القسطنطينية الثاني اتضح أن الخلقيدونيين سمحوا، دون أن يتعرضوا للشبهة، بتعدد المصطلحات التي تُعَبّر عن الإيمان نفسه. من جهة اللاخلقيدونيين يظهر أنّ سويرس الانطاكي هو الشخص الأوحد الذي اقترب من قبول كيرلس **لطبيعتين** في tei theoriai monei **الفكر فقط** بعد الإتحاد، وهذا الموقف قُبِل في خلقيدونية وأُعلن

بوضوح في تحديد المجمع المسكوني الخامس أو في ابسالاته.

هدف هذه الورقة هو بحث بعض المصطلحات من الخلفية التاريخية للظروف التي أدّت إلى جعلها مقياساً للإيمان الصحيح. مهمة جداً هي الظروف التي أحاطت بمجمعي ٤٤٩ و ٤٥١. واليقين أن الصورة الأساسية التي تحكمت بسخط ديوسقورس مع كلّ الحديث عن الطبيعتين كانت في استخدام ثيوذوريتس له استخداماً حذقاً ليخبّىء ما يمكن أن يسميه المرء حالة واضحة عن النسطورية الخفية Crypto-Nestorianism. أما دعم لاون لثيوذورس وإخفاقه في إدراك حقيقة أمره فجعلاه بتداعي الأفكار مذنباً، كما حدث إلى حدّ ما مع دعم ديوسقورس لافتيخيوس. هذا ما يُفسر إلى حدّ بعيد الموقف السلبي تجاه كتاب (طوموس) لاون، لا من قبل الجماعات المصرية فقط، بل من قبل الجماعات الفلسطينية أيضاً، ويا للعجب حتى من قبل الأساقفة الايليريين الذين كانوا ضمن دائرة نفوذ لاون الكنسي.

إن مفتاح الانتهاج في هذا البحث هو (١) تحديد النسطورية كما رآها كيرلس للتقريره في سبب قبول كيرلس طبيعتين في المسيح بعد الإتحاد في الفكر فقط
tei theoriai monei وفي اعتراف يوحنا بالإيمان (٢) للبحث بإيجاز في كتاب (طوموس) لاون وموقف خلقيدونية واستخدامه له وذلك على ضوء هذا التحديد. في القسم الثاني سنبحث ما هو واضح أنه حالة نسطورية خفية في شخص ثيوذوريتوس،

وعلى ضوء هذه الحالة سنقوّم بعض الأوجه المهمة من المواجهة الخلقيدونية واللاخلقيدونية لهذه المسألة. في كلّ مكان من هذه الورقة سنهتّم بمنزلة كيرلس في خلقيدونية، ومنزلة بنوده الاثني عشر بشكل خاص، بذلك نحدّد ما إذا كان المجمع المسكوني الخامس عودة أو بالأحرى بقاء مع كيرلس أم لا.

القسم الأول

١ - رفض نسطوريوس أنّ من وُلِد من العذراء هو واحد مع الأب في الجوهر في لاهوته وأنه بالتالي إله بالطبيعة. وبتعبير آخر رفض أنّ المولود قبل الدهور من الآب والواحد معه في الجوهر وُلِد في آخر الايام وفق طبيعته البشرية الخاصة من مريم العذراء فصار إنساناً في الطبيعة وواحداً معنا في الجوهر. على أساس هذا الرفض شوّه نسطوريوس الأهمية الحقيقية للفظة والدة الإله Theotokos التي أنكرها بالحقيقة على أم الله. وأقصى ما يقدر أن يقوله نسطوريوس هو أنّ المسيح هو الشخص الواحد لاتحاد الطبيعتين، الواحدة بكونها إلهاً بالطبيعة والثانية إنساناً بالطبيعة. فاسم المسيح لا يُسند إلى الكلمة، بل إنه اسم شخص الإتحاد المولود من مريم الذي يسكن فيه الكلمة والذي اتخذه الكلمة. أصرّ نسطوريوس أصراراً متزمّتاً على أن الكلمة لم يولد من العذراء في طبيعته الإنسانية وإنه لم يصبح إنساناً بالطبيعة. على أساس هذا التفكير قسم الطبيعتين وما يُسْنَد إلى المسيح، فنسب ما هو إنساني إلى الإنسان المتخذ وما هو إلهي إلى الكلمة.

في ضوء نكرانه لولادَتَي الكلمة ووحدة الجوهر المزدوجة للكلمة نفسه الواحد، ابن الله وابن مريم نفسه أيضاً، وبذلك يكون معنى لقب والدة الإلهTheotokos، وفي ضوء إصراره على أنه لا يقسم المسيح إلى شخصين، بل يقسم الطبيعتين والاسمين فقط، حُكِم عليه بتزيف الإيمان والاستهزاء به، وعلى هذا الأساس أَدانه المجمعان الثالث والرابع ونبذه يوحنا الانطاكي ولاون بابا رومة.

إنني أشرت في مكان آخر [٤] إلى أن مصالحة عام ٤٣٣ بين كيزلس ويوحنا أوجدها الإعتراف الانطاكي بالولادة المزدوجة ووحدة الجوهر عند «ربنا يسوع المسيح، ابن الله المولود الأوحد». وهذا الإعتراف رفضه بعنف نسطوريوس وحتى ثيوذوريتوس، كما سنرى بعد قليل. في اعتراف يوحنا أعلن بوضوح **أن ابن الله المولود الأوحد** وُلِد قبل الدهور من الآب من حيث لاهوته وفي الأيام الأخيرة (وُلد) **هو نفسه** من أجلنا ومن أجل خلاصنا من مريم العذراء من حيث ناسوته (يجب الإنتباه لتكلّمه بوضوح على الابن المولود الأوحد ولا لتكلّمه على شخص اتحاد الطبيعتين الذي نادى به نسطوريوس وثيوذوريتس) واحد مع الآب في الجوهر من حيث لاهوته وواحد

---

٤ ـ أنظر مقالتي:

"Highlights in the Debate Over Theodore of Mopsuestia's Christology," in *The Greek Orthodox Theological Review*, vol. V, 2 (1959-60), pp. 157-161.

في الجوهر معنا من حيث ناسوته[٥]. عنى هذا الإعتراف بالإيمان عند كيرلس أن لقب والدة الإله والتجسد قُبِلا بمعناهما الكامل والصحيح، رغم أن يوحنا تكلّم على «اتحاد الطبيعتين الذي بواسطته نعترف بمسيح واحد ابن واحد ورب واحد».

يؤكد كيرلس حقاً في رسالته الى أكاكيوس أسقف مليتون[٦] أنّ الإعتراف الانطاكي بالولادة المزدوجة والجوهر الواحد المزدوج للكلمة الواحد نفسه لا يشك في أنه نسطوري، لأن هذا ما ينكره نسطوريوس [٧]. أجاب كيرلس عن الإعتراض على أن الطبيعتين بعد الإتحاد تعنيان اسناداً لنوعين منفصلين من الأسماء، نوع إلهي ونوع إنساني، إلى طبيعتين منفصلتين : إنّ تقسيم الأسماء لا يعني بالضرورة تقسيم الطبيعتين والاقنومين أو الشخصين، لأن كلّ الأسماء تُسند إلى الكلمة الواحد. فتقسيم الأسماء يُعتبر إجراء وقائياً ضد الاريوسيين والافنوميين الذين في خلط الأسماء سعوا إلى إثبات مخلوقية الكلمة ودونيته أمام الآب. فالأسماء تنقسم، لا الطبائع، وذلك حتى نميّز الإختلاف الحقيقي للطبائع أو الأشياء التي يتألف منها المسيح، لا لكي نقسمها، لأنه يمكن أن نميّز بينها بعد الإتحاد في التفكير فقط [٨].

طبعاً إن كيرلس يفضّل أن يتكلم على طبيعة **الله الكلمة**

---

٥ - *Mansi*, IV. 292.

٦ - *P.G.*, 77, 184-201. See also Ep. *ad Eulogium*, *P.G.*, 77, 224-228; Ep. *and Successum I and II*, *P.G.*, 77, 228-245.

٧ - *P.G.*, 77, 189-192, 197.

٨ - *P.G.*, 77, 193-197.

الواحدة المتجسدة والمتأنسة أو على الاقنوم الواحد، لأنّ هذا التفضيل يصون بشكل أفضل الإتحاد وإسناد كلّ الأشياء المتعلقة بالمسيح إلى الكلمة بكونه موضوعاً لكلّ الأفعال الإنسانية والإلهية. **فالطبيعة** عند كيرلس تعني فرداً محدّداً يقوم بعمل الفاعل بحكم حقه الشخصي ووفق خصائصه الطبيعية. وهكذا بما أن طبيعة الله الكلمة الواحدة المتجسدة اختار لنفسه بولادته الثانية ناسوتاً كاملاً وحقيقياً فهو يملك الخصائص الجوهرية والطبيعية المشتركة عند كلّ الناس، بحيث أن الكلمة نفسه يبقى هو المسيح ويحيا حقاً حياة الإنسان بلا أيّ تغير في لاهوته بكونه بقي وفق ما كان عليه سابقاً بشكل مستمر. فالكلام على طبيعتين في المسيح يساوي، إلى حدّ ما، الكلام الخلقيدوني على اقنومين في المسيح. في هذا الصدد بإمكان الخلقيدوني أن يقبل ويقبل بالفعل كلّ ما يقوله كيرلس، لكنه يستخدم عبارته « **اقنوم الله الكلمة الواحد المتجسد**» بما أن الطبيعة عنده تعني **الجوهر**.

إن النقطة الأساسية التي أشار إليها كيرلّس والتي قد يعطيها اللاخلقيدونيون الارثوذكسيون اعتباراً كافياً يوماً ما هي أنه مهما أكّد المرء الدقة اللاهوتية في التعبير يبقى اتّهام أي إنسان يقبل الولادة المزدوجة والوحدة المزدوجة لجوهر الكلمة أساساً للفظة والدة الإله، ولإسناد كلّ الصفات والأفعال الإلهية والإنسانية إلى الكلمة الذي هو الموضوع الفريد للتجسد والعمل، وفقاً للاهوته وناسوته الذي اتّخذه، اتهاماً كاريكاتورياً محضاً. وهذا ما أنكره ثيوذورس ونسطوريوس وثيوذوريتوس.

وهذا هو جوهر الأرثوذكسية؛ رأى القديس كيرلس هذا الأمر بوضوح، وواجبنا أن نجعله مركزاً لبحثنا.

٢ - لا شك أنّ لاون مال إلى الفصل أو التمييز بين أعمال المسيح بحيث إن الطبيعتين تظهران وكأنهما كفاعلين منفصلين. وهذا الميل يمكن تفسيره بما تخيّله عن تعليم افتيخيوس وبثقافة اللاتينية، حيث الألفاظ اليونانية عن الثالوث الأقدس المستخدمة في المسيحانية غير متيسرة له. من الواضح أنه أخفق في فهم كيفية استخدام عبارة **طبيعة واحدة** في الشرق، وعلى الأخصّ في المجمع المقيم عام ٤٤٨. لهذا السبب، عندما يقرأ اللاخلقيدوني كتاب لاون، عليه أن يفهم بلفظة الطبيعة (natura) أنها مرادفة للجوهر (ousia)، لأن لاون بحث في المعلومات الواردة إليه، أن أفتيخوس أنكر وحدة المسيح معنا في الجوهر. وتعبيره عن الدهشة الشديدة بأن القضاة لم يعنّفوا أفتيخيوس عندما أصدر بياناً مثل «إنني اعترف بأن ربنا كان من طبيعتين قبل الاتحاد، لكنني أعترف بطبيعة واحدة فقط بعد الاتحاد»، يؤكد أنه يخلط بين لفظة «الطبيعة» (natura) التي يستعملها واللفظة اليونانية «الجوهر (ousia)» وبين لفظة «الطبيعة» (physis). ولذلك فإن خلط أفتيخيوس بين اللفظتين «جوهر» (ousia) و«طبيعة» (physis) لم يساعد على حلّ المشكلة أبداً.

مع ذلك، فإن لاون واضح في قبوله للمقياس الأرثوذكسي المقاوم للنسطرة والذي قبله كيرلس. فهو يعلن بوضوح في كتابه أنّ «المولود الأوحد والكائن الأزلي من المصدر الأزلي وُلِد

هو نفسه من الروح القدس ومن مريم العذراء. فهذه الولادة في الزمن لا تسلب شيئاً من الولادة الإلهية والأزلية، ولا تضيف إليها شيئاً»[٩].

إن تحديد خلقيدونية واضح جداً أيضاً في هذه النقطة. «عندما نتّبع الآباء القديسين، نعلّم بإجماع أن ربنا يسوع المسيح هو عندنا واحد وهو الابن نفسه، وله نفس ناطقة وجسد، وهو واحد معنا في الجوهر من حيث ناسوته... المولود قبل الدهور من الآب بحسب لاهوته، لكنه في آخر الأيام (ولد) هو نفسه من أجلنا ومن أجل خلاصنا من مريم العذراء والدة الإله بحسب ناسوته...»[١٠].

إذا عدنا إلى كتاب لاون، فمن المهم أن نشير إلى أن مجمع خلقيدونية قبله كوثيقة ضد هرطقة أفتيخيوس فقط، على الرغم من أن لاون وممثليه آمنوا بأنه بيان جيّد ضد النسطورية أيضاً. والأهم من هذا الأمر أن نبقي في فكرنا أنه جرى الاعتراض على المقاطع الثلاثة الشهيرة والموحية بالنسطرة عندما قرأت هذه الوثيقة في الجلسة الثانية. ففي كلّ مقاطعة كانت تُهاجم ويُدافع عنها باستخدام مقاطع موازية من كيرلّس[١١]. وبعدما حدث ما يجب أن يكون شبه نقاش عاصف وطويل،

٩ - T.H. Bindley, *The Ecumenical Document of the Faith* (London, 1950), p. 224.

١٠ - *Mansi*, VII, 116.

١١ - *Mansi*, VI, 972-973.

اقترح الأسقف أتيكوس النيكوبولي (في أبيروس القديمة) أن تُعطّل الجلسات لبعض الوقت لتُعْطى للمجتمعين فرصة المقارنة الدقيقة لكتاب لاون مع **بنود كيرلس الاثني عشر** حتى يتأكدوا مما يوافقون عليه[١٢]. فأعطى ممثلوا الأمبراطور للأساقفة خمسة أيام ليقارنوا النصين واقترحوا تأليف لجنة تحت رئاسة أناطوليوس بطريرك القسطنطينية[١٣]. فقدمت اللجنة تقريراً في الجلسة الرابعة التي في مستهلها أعلن ممثلو الأمبراطور ومجلس الشيوخ إيمان الأمبراطور الثابت في أبينة نيقية والقسطنطينية وأفسس، مع موافقتهم على «رسالتي كيرلس القانونيتين»، أي الرسالة الثانية والثالثة إلى نسطوريوس[١٤]. هذا الإعلان للإيمان الأمبراطوري حدث أيضاً في نهاية الجلسة الأولى[١٥]، وأعيد الآن توقعاً لتقرير اللجنة في مسألة اتفاق لاون مع **بنود كيرلس الاثني عشر**. وأُدرج تقرير اللجنة[١٦] في المحاضر على شكل جدولة الآراء الشخصية لإعضائها، وكلّ منهم عبّر عن إيمانه بأن كتاب لاون يتفق مع نيقية وأفسس و**رسالة** كيرلس. ومعظم الأساقفة أشاروا إلى **رسالته كيرلس (الواحدة)**[١٧]، التي ليست هي سوى **البنود الاثني عشر**، إذ إنها الرسالة التي عني بها الإيلاريون والفلسطينيون كما يتضح من اقتراح إيلاريون الأتيكي الذي ابتدأ

---

١٢ - *Mansi*, VI, 973.
١٣ - *Mansi*, VI, 973.
١٤ - *Mansi*, VII, 8.
١٥ - *Mansi*, VI, 937.
١٦ - *Mansi*, VII, 48.
١٧ - *Mansi*, VII, 36-45.

بالمقارنة الدقيقة بين كتاب لاون ورسالة كيرلس. وأشار بعض الأعضاء إلى إيمانهم بأن كتاب لاون يتفق مع **رسالتي كيرلس**، إذ ذكروا بوضوح رسائل أفسس التي ذُكرت كجزء من الإيمان الأمبراطوري. ومما يلفت النظر أنه بين الآراء الشخصية المتشابهة التي قدّمها سائر المجتمعين والتي دُوِّنت في المحاضر هي آراء ثيوذوريتس أسقف قورس[١٨]، الذي أعلن أنه يجد كتاب لاون متفقاً مع **رسائل** كيرلس ومع مجمع أفسس، وبالطبع هناك تحوّل مفاجئ كبير في موقفه مباشرة قبل المجمع. وعلى ضوء تردده القوي أثناء الجلسة الثامنة في إبسال نسطوريوس، مما أغاظ المجمع، يتساءل المرء عن إخلاصه، خصوصاً لأنه حاول أن يدافع عن أعماله السابقة، إذ عرض كيف أنه لم يعلّم أبداً عن وجود ابنين. فقاطعه «نسطوري» بصراخه[١٩].

إنّ قبول كتاب لاون في ضوء رسائل كيرلس وجعله متعلقاً عليها يوجد بوضوح في تحديد مجمع خلقيدونية نفسه[٢٠]، إذ أُعلِن أن المجمع يقبل رسائل كيرلس (الرسالة الثالثة إلى نسطوريوس تُلَقّب بالرسالة المجمعية، أو بما أن الصيغة التي استخدمت هي صيغة الجمع فقد تكون إشارة إلى رسالتي أفسس، التي تُسمى في المحاضر مع الرسالة إلى يوحنا بالرسائل القانونية) إلى نسطوريوس وإلى الذين هم في الشرق، «ورسالة لاون التي جرى تكييفها بشكل معقول مع رسائل كيرلس» وما

١٨ - *Mansi*, VII, 20.

١٩ - *Mansi*, VII, 188-192.

٢٠ - *Mansi*, VII, 113.

هـذه الحال حـال توازن بـين كيرلس ولاون، كـما يريـدنـا بعض العلماء أن نعتقد. فلاون صـار حسّاساً بالنسبة إلى الشكوك التي أُثـيرت حول كتـابه وانـزعج أيضـاً من المـوقف الحـازم في بعض الأمـاكن كفلسطين حيث خُلع جفينـال لقبولـه كتاب لاون. وفي رسالته إلى جوليان الكوسي (CVXII, 3) حيث يظهر قلقاً لاتهـامه بالهرطقة كتب أنه «. . . إذا ظنوا أن هناك أيّ شك في تعليمنا، فعليهم ألّا يـرفضـوا عـلى الأقـل تعليم كهنـة قـديسـين أمثـال أثنـاسيوس وثيـوفيلس وكـيرلس الأسكنـدري الـذين يتفق معهم عرضنـا الإيماني اتفاقاً تاماً، حتى أن من يعلن قبولها لن يخالفنا في شيء». لا أحد يقـدر أن يشـكّ في الصدق الـذي أراده لاون في أن يكون على اتفاق مع هؤلاء الآباء الإسكندرانيين، لكنّ دفاعه عن ثيـوذوريتس عرّضـه للشبهة. وفي رسـالة إلى أسقف قـورش الذي أُعيد إلى كرسيه، يوبّخ ثيوذوريتس على طريقته البـطيئة في إبسال نسطوريوس (CXX, 5). ولكن في الملاحـظات الافتتاحيـة لهـذه الرسـالة يقـول: «في انتصارك (يا ثيـوذوريتس) فـزنا نحن بـالمسـاعـدة العلويـة عـلى تجـديف نسـطوريـوس وعـلى تجـديف أفتيخيوس أيضاً». فعلاقة ديوسقوروس بأفتيخيس قد يـوجد مـا يوازيها.

ويتحـدّث تحديـد خليقيدونيـة الإيمـاني عن نفسـه بصفتـه «حـافظاً الـترتيب وكلّ الـدساتـير الإيمانيـة التي مـرت بـالمجمـع المقدس الذي عُقد رسمياً في أفسس. . .»[٢١] فمن كتاب إيباس

٢١ - *Mansi*, VII, 109.

«إلى ماريوس الفارسي» ومن محاضر المجمع اليوحناوي المنعقد في أفسس، نعلم أن الإنطاكيين رفضوا المجمع الكيرلسي في أفسس وأدانوا كيرلس، بسبب قبوله **البنود الاثني عشر** الهرطوقية[٢٢]. في هذا الكتاب نفسه (وبما أن عدداً كبيراً كان من أصدقاء كيرلس)[٢٣] خامر إيباس الانطباع بأن كيرلس تخلى عن موقفه الأفسسي عندما تصالح مع يوحنا عام ٤٣٣[٢٤].

ومع ذلك فإن إيباس صرّح في محاكمته في بيرتوس عام ٤٤٩ أن بولس الحمصي قبل تفسير الأسقف الأسكندري **للبنود الاثني عشر** كما قبل كيرلس اعتراف المشرقيين[٢٥]. وفي ضوء ذلك يجب أن يقرأ المرء رسالة يوحنا إلى أساقفة روما والأسكندرية والقسطنطينية (وفق ترتيب الرسالة) التي أُعلن فيها قبول إنطاكية لمجمع أفسس[٢٦] وقبولها حرم نسطوريوس.

ويتعذّر قبول رأي الكثيرين منهم بأن كيرلس وضع جانباً **بنوده الاثني عشر** في سبيل مصالحته مع يوحنا. فهو كفرد لم يملك سلطة لتعديل قرارات مجمع مسكوني، ولا يوجد دليل على إثبات هذه الفرصة. ومع أن المجمع المقيم في القسطنطينية غالى على ما يبدو في تأكيد التنازلات الكيرلسية عام ٤٣٣، فهو يقبل **البنود الاثني عشر** كجزءمن مجمع أفسس الذي أيدّه كلّياً[٢٧].

٢٢ - *Mansi,* IV, 1265 ff.; VII, 244-245.

٢٣ - *Ep. ClXXI, P.G.,* 83, 1484.

٢٤ - *Mansi,* VII, 248.

٢٥ - *Mansi,* VII, 240.

٢٦ - *Mansi,* V, 285.

٢٧ - *Mansi,* VI, 665.

في ضوء هذا الشاهد يتضح أنّ رسالة كيرلس الثالثة إلى نسطوريوس، بما فيها **البنود الاثنا عشر**، لم يرفضها مجمع خلقيدونية، كما يزعم الكثير منهم، لا بلّ أن **البنود الاثني عشر** استُخدمت كقاعدة حقيقية لمواقف المجمع من النسطورية وكتاب لاون. ومن المؤسف أن الخلقيدونيين أنفسهم الذين حضروا مجمع ٥٣١ في القسطنطينية لم يدركوا تماماً الدور الحاسم الذي مثّلته في خلقيدونية بنود **كيرلس الاثنا عشر**. فجوابهم عن اتّهام سويروس بأن **البنود الاثني عشر** أُهملت في مجمع ٤٥١ كان أنها قُبلت وأُقرت كجزء من مجمع أفسس الأول. هذا الأمر، طبعاً، لا يقبل المنازعة، لكنه لا يقترب من حقيقة الأمر ولا في أي مكان. فأهمية **البنود الاثني عشر** التي أفاد منها مجمع خلقيدونية يجب أن تكون واضحة وضوحاً كافياً عند الذين يزعمون أنهم يعجزون عن إيجاد النقاط المميّزة المسيحانية الكيرلسية في تحديده الإيماني. لا أساس أيضاً للنظريات (التي قدمها العديد من العلماء البروتستانت والكاثوليك الذين أربكتهم الكيرلسية في المجمع المسكوني الخامس) المتعلقة بالحركة الخلقيدونية الجديدة المزعومة التي يُفترض فيها أن تهمل كتاب لاون وتعود إلى البنود **الاثني عشر** في مجمع أفسس الأول، وعلى الأخص إلى الإبسالات الاثني عشر. وحقيقة الأمر هي أنه في إبسال الذين يرفضون **بنود كيرلس الاثني عشر** كرّر المجمع المسكوني الخامس (٥٥٣) ما فعله مجمع أفسس عام ٤٣١ ومجمع خلقيدونية أيضاً عام ٤٥١.

القسم الثاني

والآن يجب أن نعود إلى النسطورية الخفية عند ثيوذوريتس، التي هي نمط مسيحاني قادر إلى حدّ ما أن يخفي نفسه وراء اللغة المستخدمة في صيغة المصالحة عام ٤٣٣، لكن دون أن يتبنى تعابيرها الدقيقة ومعانيها. وما من شك في أن ديوسقورس في سخطه على هذا النمط من المسيحانية أكثر من أي شيء آخر اندفع إلى إهمال عمل كيرلس في عام ٤٣٣ وإلى العودة إلى ما يسمّى بالتشبثية (أو الحصرية) الإسكندرانية وكأنها الوسيلة الفريدة لاقتلاع الشكل الجديد الذي تخبئ النسطورية نفسها وراءه.

أثناء المجادلات المسيحانية تعلّم ثيوذوريتوس ـ أن يعدّل بعض آرائه، لكن من دون أن يغيّر رؤيته الأساسية وفرضياته. على سبيل المثال هو رفض اقتراح كيرلس بأن الكلمة نفسه صار بشراً بالطبيعة[٢٨]. لكن بعد وقت وضع كتابه «الجامع Eranistes» وفيه كيّف لغته إلى حدّ ما مع لغة كيرلس. ومقاومة لنسطوريوس أعلن أن «الحقّ إله بالطبيعة وإنسان بالطبيعة أيضاً»[٢٩]. وفي كتاب آخر قال «هو نفسه بالطبيعة إله وإنسان»[٣٠]. فالذي ولد من العذراء، عند ثيوذوريتس، هو من جوهر الله نفسه بلاهوته ومن جوهرنا نفسه بناسوته.

٢٨ - *Ep. De XII Capitutis, P.G.*, 76, 388A.

٢٩ - *P.G.*, 83, 121B.

٣٠ - *Demonstrationes, P.G.*, 83, 328A.

فالمسيح، وفقاً لقوله، وُلِد قبل الدهور من الله الآب، وفي زمننا وُلِد المسيح نفسه من العذراء والدة الإله[٣١]. هذه العبارات ليست عبارات نسطوريوس، لكنها ليست أرثوذكسية تماماً. فاسم المسيح، عنده، يُسند إلى الكلمة، لأن الابن المولد الأوحد اتخذ الإنسان أو الناسوت الذي ولد من العذراء[٣٢]. حتى قبوله المجمعين المسكونيين الثالث والرابع عجز عن أن يقول إنّ الكلمة نفسه، بكون إلهاً بالطبيعة، صار من حيث الجسد إنساناً بالطبيعة، أو أنه من جوهرنا نفسه، بولادته الثانية في الزمن من مريم العذراء، فيما بقي غير متغيّر عما كان عليه. فالأسماء الإلهية يمكن أن تُسندَ إلى الكلمة[٣٣]، لكن كلّ الأسماء، الإنسانية والإلهية أيضاً، يمكن أن تُسند إلى الكلمة بسبب اتحاد الطبيعتين فيه[٣٤]. لذلك عندما يقول ثيوذوريتوس إن الذي ولد من العذراء هو من جوهر الله الآب نفسه لا يعني أن من هو من جوهر الآب نفسه ولد من العذراء في الجسد. فاسم المسيح يبدو أنه الاسم الأوحد الذي سمح ثيوذوريتوس بأن يُنسب إلى الكلمة في الجسد، وبهذه الطريقة تجنّب القول مع نسطوريوس بأن المسيح هو ابن داود وابن الله: المتحدان في شخصه الواحد (شخص المسيح). لكنه يتبع نسطوريوس بوضوح بتمييزه الابن المولد الأوحد عن المسيح في دستور الإيمان مؤكداً أن اسم يسوع

٣١- *P.G.*, 83, 1420.

٣٢- *P.G.*, 83, 264B; 280-281.

٣٣- *Ibid.*

٣٤- *P.G.*, 83, 148AB; 252CD; 231A.

المسيح، وليس لقب الابن المولد الأوحد، هو المتقبل الأمور الإنسانية كالولادة والآلام والموت والدفن والقيامة[٣٥]. فمحاولته أنْ يُفسّر لماذا اسم المسيح في كلّ الأمور الإنسانية يجب أن يُسند إلى الكلمة في الجسد هو إخفاق نسطوري. لذلك فإنّ شخص المسيح هو الذي تألّم ومات ودفن في القبر وليس الممتنع على الألم في ناسوته المتألم[٣٦]. عندما يتكلّم القديس بولس على رب المجد بكونه قد صُلب عنى بذلك أنّ جسد رب المجد صُلب، ولم يعن أنّ رب المجد صُلب في الجسد[٣٧].

من المفيد جداً في مسألة تقسيم الأسماء بين الطبيعتين وتوحيدها، لا في الكلمة، بل في اسم المسيح، الذي يشتمل على الكلمة، أن نذكر نص ثيوذوريتوس لصيغة إعادة الاتحاد أو للاعتراف الإنطاكي بالإيمان. فالاختلافات اللغوية بين الاعترافين توضّح أموراً عقدية. إننا سنقتبس نص ثيوذوريتس[٣٨] وندخل في الأمكنة المناسبة وضمن قوسين نص يوحنا الذي هو أطول منه ونضع خطّاً تحت عبارة واحدة من دستور إيمان ثيوذوريتس أُغفلت في نص يوحنا.

«إننا نعترف بربّ واحد يسوع المسيح **(ابن الله المولد الأوحد) إلهاً كاملاً وإنساناً كاملاً**، بنفس ناطقة وجسد، مولود قبل الدهور من الآب بلاهوته، لكنه ولد في الأيام الأخيرة (هو

٣٥ - *P.G.*, 83, 280BCD - 281B.
٣٦ - *P.G.*, 83, 257CD; 261BCD.
٣٧ - *P.G.*, 83, 280AB.
٣٨ - *Ep. CLI, P.G.*, 83, 1420A.

نفسه) لأجلنا ولأجل خلاصنا، من مريم العذراء. هو نفسه من جوهر الآب بلاهوته ومن جوهرنا بناسوته».

إنّ لابن الله الأوحد، عند يوحنا، ولادة مزدوجة ووحدة في الجوهر مزدوجة، أما هذان الأمران عند ثيوذوريتوس فيمكن إسنادهما إلى المسيح فقط، الذي يتضمن الكلمة، لأن الولادة الإلهية الفريدة والوحدة في الجوهر يمكن إسنادهما إلى الكلمة نفسه. يبدو أنه من المشكوك فيه جداً أن يكون ثيوذوريتوس هو المؤلّف لصيغة إعادة الاتحاد، كما يزعم بعضهم عادة[٣٩]. أحياناً قد يعلن اتفاقه مع اعتراف يوحنا، لكن آنذاك يعلن اتفاقه مع دستور الإيمان النيقاوي أيضاً. وعلى أساس هذه النسطورية الخفية يقدر ثيوذوريتوس أن يكمّل هجومه على أفسس وكيرلس، وخاصة على **البنود الاثني عشر**. من المهم أن نشير إلى أن مسيحانية ثيوذوريتوس ليست هي مسيحانية يوحنا التي قبلها كيرلس، وليست هي مسيحانية كتاب لاون وخلقيدونية. والاخفاق في ادراك هذا الأمر في القرن الخامس جعل خلقيدونية ولاون مذنبين بتداعي الأفكار وذلك في أعين الذين حذوا حذو ديوسقوروس، وعلى هذا المنوال جعل ديوسقوروس مذنباً بتداعي الأفكار بسبب دعمه لأفتيخيس.

---

٣٩ ـ ومن المشكوك فيه أيضاً على أساس مسيحانية ثيوذوريتوس هو تأليفه المزعوم لكتاب أرسله دومنوس إلى فلافيان. P.G., 83,1297.
See R.V. sellers, The Council of Chalcedon (London, 1953), (P.28 n5) الذي اعترف فيه أن كل ما يتعلق بالمسيح، مع أنه يسْند إلى الطبيعتين، يُنسب إلى «المولود الأوحد نفسه».

إذا أبقينا في الذهن تمييز ثيوذوريتوس بين لقبي المسيح والابن المولد الأوحد حتى يرفض أن دستور الإيمان النيقاوي يتحدث عن أن الابن المولود الأوحد نفسه ولد وتألّم وصُلب ودُفن، فمن المفيد أن نرجع إلى كتاب لاون. فأسقف روما كتب على نحو مغاير لثيوذوريتوس ونسطوريوس. ومن جهة ثانية يُقال «إنّ ابن الله صُلب ودُفن» مع أنه لم يحتمل هذه الأشياء في حقية لاهوته وهو الابن الأوحد، الواحد مع الآب في الأزلية والجوهر، بل احتملها بضعف الطبيعة البشرية. ولذلك نعترف كلّنا أيضاً بأنّ «ابن الله الأوحد تألم وقُبر» حسب قول الرسول، «فلو عرفوا (حكمة الله) لما صلبوا رب المجد» (الفصل الخامس). فإن كان هذا القول لم يقله **جملة** كيرلس في **إبسالاته الاثني عشر** من بنوده، فمن الأكيد على الأقل أن نسطوريوس أو ثيوذوريتوس ما قالا هذا القول. وفي رأي هذا الكاتب أن قبول ثيوذوريتوس كتاب لاون لحاجته إلى المساعدة في وجه النكبة الشخصية لا يختلف عن قبوله **لبنود كيرلس الاثني عشر** في خلقيدونية. فكان مشهداً حزيناً في الجلسة الثامنة عندما حاول أن يقنع المجمع جهاراً بأنّه لا يقبل الآن كل ما فعل وأنه لا يبسل نسطوريوس لحب المقام الرفيع والمكانة السامية والغنى[٤٠].

ما دام كيرلس ويوحنا على قيد الحياة فإنما كانا قادرين، تقريباً، على كبح المتطرفين في أبرشيتهما. حتى أنّ احتدام الجدل على مسيحانية ديودور وثيوذور لم يضع حداً لاتحاد عام

٤٠ - *Mansi*, VII, 188-192.

٤٣٣ . لكنّ الأمور تغيرت نحو الأسوأ مع ارتقاء دومنوس (٤٤٣) إلى «الكرسي الرسولي» في أنطاكية وارتقاء ديوسقوروس (٤٤٤) إلى «الكرسي الأنجيلي» (هكذا دعيا في محاضر المجامع) في الأسكندرية. فثيوذوريتوس تلقى عوناً كبيراً في إنطاكية وازدادت النشاطات المؤيدة لنسطوريوس ازدياداً خطيراً. ومن الواضح أنه تحت تحريض ثيوذوريتوس رُسِم عددٌ من النساطرة أساقفة، بمن فيهم أيريناوس الكونت النسطوري المتعصب والرديُّ السمعة والمتزوج مرتين. فواجهت الكنيسة انبعاث نسطورية تختبئ وراء صيغة الاتفاق وكلام ثيوذوريتوس المسيحاني الخدّاع. ويجب أن نبقى في ذهننا أيضاً أنّ هؤلاء الناس لم يعلنوا إيمانه بصيغة الاتحاد فقط، بل بدستور الإيمان النيقاوي أيضاً، وقد فسرّوهما بطريقتهم الخاصة.

عندما قبل كيرلس اعتراف يوحنا تشكّك الكثيرون في وثيقة الطبيعتين، إما لشعورهم بأن كيرلس عرّض قرارات أفسس للشبهة أو لإيمانهم بأن كيرلس خُدع. فشعروا يقيناً بأن شكوكهم أمست مبرّرة. والآن أصبح من الطبيعي عندهم أن يشعروا وأن يقرروا أن الطريقة الفريدة لاقتلاع هذه النسطورية الجديدة هي في التشديد على طبيعة الله الكلمة الواحدة المتجسدة، وطبيعة واحدة بعد الاتحاد، وعلى أن المسيح واحد أو أنه من طبيعتين. هذا التشديد وحده جعل تأمين إسناد كلّ أسماء المسيح وأفعاله إلى الكلمة المتجسد ممكناً. فاختبار النموذج الثيوذوريتي برهن لهم بمعزل عن أي شك أن أية عقيدة تؤمن

بطبيعتين بعد الاتحاد تدلّ حصراً على وجود شخصين ومركزين للأفعال في المسيح يفعلان بتناغم المشيئتين، الواحدة أو الأخرى تؤدي أعمالها الخاصة عندما تدعو الحاجة. وكنا سنرى، هاجم حتى أولئك الذين يقبلون **طبيعة الكلمة الواحدة المتجسّدة** وهاجم أيضاً الذين فضّلوا التكلم على **طبيعتين**، إذ إنه يدلّ عندهم على **جوهرين**.

تجلت فرصة الهجوم الحاسم على الطبيعتين في مجمع القسطنطينية المقيم عام ٤٤٨ الذي التأم لبحث تهمة الهرطقة التي سجّلها أفسافيوس أسقف دوريلاوم ضد أفتيخيوس. فالطعن نفسه لا يحوي هرطقة خاصة، لكن وفقاً لشهادة أولئك الذين أُرسلوا لدعوة أفتيخيس إلى المثول أمام المجمع حتى يجيب عن اتهامات غير مسمّاة، فإن الأرشمندريت المُعَمَّر رفض أن يكون المسيح من جوهرنا نفسه من حيث ناسوته[٤١]. هذا الرفض نفسه كرّره أفتيخيس عندما مثل أخيراً أمام المجمع. لكن عندما أُبلغ أن رفضه هذا هو رفض لتعليم الآباء (ربما أوردوا له بعض الاقتباسات الآبائية) تلعثم وأظهر رغبة في قبول هذا التعليم. لكن من المهم أن نشير إلى أنه سئل مرات عديدة سؤالاً واحداً، ربما طرح بشكل سؤالين، أي ما إذا كان يعترف أم لا (١) بأنّ المسيح هو من جوهرنا نفسه و(٢) بأن في المسيح طبيعتين بعد التجسد[٤٢]. يبدو أنه لا توجد دلائل في المحاضر (ربما في ملاحظة لاون فقط وهي أن لا أحد أنّب الراهب عندما

---

٤١ - Mansi, III, 700 - 701; 741

٤٢ - Mansi, VI, 737; 808; 816

تحدث عن طبيعة واحدة بعد التجسد) على أن لهذين التصريحين معنيين مختلفين، أي يمكن أن يتحدث عن طبيعة الله الكلمة الواحدة المتجسدة أو عن طبيعة واحدة بعد التجسد وأن يعترف في الوقت نفسه بأنّ المسيح هو من جوهرنا في ناسوته. هكذا وعلى الرغم من أن أفتيخيس يقدر أن يفكر تفكيراً جدّياً في إمكانية قبول التعليم عن الوحدة في الجوهر، فهو يعجز عن أن يفكر ولو للحظة واحدة في إبسال الذين يعلّمون بوجود طبيعة واحدة بعد الاتحاد.. ولذلك عندما طرح عليه السؤالان بكونه قادراً فقط على رفض الإبسال، فمن الواضح جداً أنه بالنسبة إليه (الذي تظهر حالته أنها حالة جهل بسيط) وبالنسبة إلى أفسافيوس وفلافيان أيضاً، كانت لفظة الطبيعة Physis مرادفة للفظة الجوهر Ousia. أُبسل أفتيخيس، لكنه احتكم أثناء المجمع أو بعده إلى أساقفة روما والأسكندرية وأورشليم وسالونيك. مع أن المرء يقدر أن يدافع عن أفتيخيس، لأنه رفض أن يبسل الذين يعلمون بوجود طبيعة واحدة متجسدة للكلمة، نظراً لأنه يعجز عن أن يبسل آباء الكنيسة، كما قال، فإننا نعجز عن أن ندافع عنه لرفضه أن المسيح هو من جوهرنا نفسه. وهكذا فإن قبول ديوسقوروس لأفتيخس في الشركة لم يكن بعد المجمع. فهذا لا يمكن أن يتمّ قبل حلّ مسألة وحدة المسيح في الجوهر. وهذا النقص العقدي أُلغي على أساس شهادة أضيفت وقدمت إلى المؤتمر التفحصي الذي عُقد في نيسان عام ٤٤٩ لبحث إدّعاء أفتيخس أن أعمال المجمع المقيم الذي أدانه كانت خاطئة وناقصة.

أُرسل القس يوحنا مع الشماس اندراوس (ومع شماس آخر برفقته وهو إثناسيوس) لدعوة افتيخيس إلى المجمع المقيم، فتبين بعد ذلك أن افتيخيس أنْكر أنّ المسيح هو من جوهرنا نفسه، لكنه أعلن آنذاك على حدة، في وقت لم يُصغِ الآخران إليه، أن المسيح هو من جوهر أُمه نفسه، رغم أنه ليس من جوهرنا [٤٣]. عندما سئل القس يوحنا عن سبب إخفاء هذه المعلومات عام ٤٤٨ أجاب يوحنا إنه فعل هكذا، لأن الشخصين الآخرين لم يشهدا هذا الجزء من الحوار. إن شهادة القس يوحنا فريدة، إذ إن افتيخيس قال إن أم المسيح كانت من جوهرنا نفسه [٤٤]. فلو آمن أن المسيح هو من جوهر أمه، لكان المسيح، كما يبدو، من جوهرنا أيضاً. من المهم أن نشير إلى أن فلافيان نفسه يستخدم في اعترافاته بالإيمان [٤٥] التعبير الذي يدلّ على أن المسيح هو من جوهر أُمه.

من المهم جداً أن ندرك أنه في هذا المؤتمر التفحصّي ثبت، صدقاً أو كذباً، أن افتيخيس حُرم، لأنه رفض أن يبسل أولئك الذين يقولون بطبيعة واحدة بعد الإتحاد، ولأنه رفض أن يقبل طبيعتين بعد الإتحاد. فقسطنطين الشماس، أحد المدافعين عن افتيخيس أثناء التحقيق في قضيته، أتهم فلافيان أنه تصرّف التصرّف ذاته[٤٦]. الشريف فلورنتيس ارتاب إرتياباً شديداً في

---

٤٣ - Mansi, VI, 785.

٤٤ - Mansi, V, 1233; VI, 741

٤٥ - Sellers, op. cit., pp. 130-131

٤٦ - Mansi, VI, 808; 816

صدق الأعمال التي وصفته بأنه حاول جعل افتيخيس يقبل وجود طبيعتين بعد الإتحاد وكأن هذا وحده كان عقيدة ارثوذكسية (٤٧).

هناك شاهد أيضاً يدلّ على أنه، استناداً إلى صيغة كيرلس **طبيعة الله الكلمة الواحدة المتجسدة**، ساد شعور بأن افتيخيس يجب أن يوافق الأساقفة المجتمعين (٤٨). وهذا الأمر عنى بوضوح أنهم شعروا بضرورة قبول افتيخيس بطبيعة ثانية في المسيح، بما أن لفظة **متجسدة** عنت لهم كذلك. والحق، أنه يصح هذا الأمر إذا كانت الطبيعة Physis تعني الجوهر ousia، لكّن كيرلس لم يستخدم هذه اللفظة بهذا المعنى. فهو لا يتكلّم ولن يتكلم على **جوهر واحد متجسد لله الكلمة**. والتوازي بين عبارة كيرلس **طبيعة واحدة** وعبارته **متجسدة** بغية إثبات أن كيرلس يتحدث عن **طبيعتين** في المسيح كانت وما تزال خطأ يكرره الخلقيدونيون حتى الآن. كان هذا الانتهاج الخاطىء وما يزال خاطئاً لانه لن يقود إلا إلى وجود **أقنومين أو شخصين**. ومع ذلك فكانت نتيجة هذا المؤتمر التفحصي أن افتيخيس لم يرجع إلى الشركة، إما لأن شهادة القس حنا لم تُقْبل أو لأن افتيخيس رفض قبول طبيعتين بعد الإتحاد.

ما له أهمية كبيرة من كلّ ما سبق هو أن مجمع أفسس المنعقد سنة ٤٤٩ لم يكن هرطوقياً، إذ إنّ إجلال افتيخيس قام على اعترافه بأن المسيح هو من جوهر امه. وهذا ما يفسّر لماذا أعلن اناطوليوس القسطنطيني في المجمع المسكوني الرابع في

٤٧- Mansi, VI, 808-809

٤٨- *Mansi*, VI, 813.

جلسة عامة أن ديسقوروس لم يخلع بسبب هرطقة [٤٩]. أما مجمع خلقيدونية فرفض المجمع الافسسي المنعقد عام ٤٤٩ بسبب الظلم الذي ارتُكب بحق فلافيان وافسافيوس وبسبب تكريم افتيخيس. ومن جهة ثانية فإن ثيوذوريتوس وايباس اللذين خلعهما مجمع افسس عام ٤٤٩ أعادهما مجمع خلقيدونية في جلساته الأخيرة أي الثامنة والتاسعة والعاشرة وبعد أن قبلا كلّ ما حدث في المجمع وبعد أن ابسلا نسطوريوس. وعلى الرغم من أن ممثلي لاون اعتبروا ثيوذوريتوس شريكاً منذ البدء [٥٠]، فإن المجتمعين اعترضوا بقوة [٥١]. ونتيجة هذا الإعتراض يمكن رؤيتها في اخبار ممثلي الأمبراطور لديوسقوروس المحتج أن أسقف قوروش قُبل في المجمع بوصفه مدعياً فقط [٥٢]. إننا تحدثنا عن إعادته إلى كرسيه في مكان آخر [٥٣]. يجب الاشارة إلى أن آتيكوس أسقف نيكوبوليس في ابيروس القديمة الذي قدّم اقتراحاً لإجراء مقارنة دقيقة بين كتاب لاون **وبنود كيرلس الاثني عشر**، كان حاضراً عند إعادة ثيوذوريتس إلى منصبه. أما قبول ابيروت بها فهو شهادة أخرى لخضوع أسقف قوروش لكيرلس [٥٤].

الإعتراض الآخر، الذي هو أكثر جدية، على مجمع

٤٩- *Mansi*, VII, 104.

٥٠- *Mansi*, V, 589.

٥١- *Mansi*, V, 592.

٥٢- *Mansi*, V, 644-645

٥٣- *Mansi*, VII, 188-192.

٥٤- *Mansi*, VII, 188.

افسس عام ٤٤٩ من قبل مجمع خلقيدونية الارثوذكسي هو رفضه لإجازة كيرلس القول بطبيعتين بعد الإتحاد وتشبّثه المتحيّز في هذا المجال. وهذا الأمر يبرز بوضوح في قراءة محاضر مجمع افسس وقبولها في المجمع الفلافياني عام ٤٤٨ [٥٥]. ورغم قبول فلافيان وافسافيوس لطبيعة **الله الكلمة الواحدة المتجسدة** ما دامت وحدة المسيح. في الجوهر معنا معلنة بوضوح[٥٦] فإن ديوسقوروس رفض تماماً كلّ حديث عن طبيعتين بعد الإتحاد. عندما سأل ممثلو الأمبراطور لماذا خلع فلافيان مع أنه قبل **طبيعة الكلمة الواحدة المتجسدة** فإن افستاثيوس بريتوس اعترف بأنه ارتكب خطأ [٥٧]. ورغم ذلك فإن ديوسقوروس أعلن أن فلافيان ناقض نفسه، لأنه قبل طبيعتين بعد الإتحاد [٥٨]. والشيء الغريب هو أنهما كانا على حق، بما أن لفظة الطبيعة Physis عند فلافيان عنت جوهراً Ousia، بينما عنت عند ديوسقوروس اقنوما hypostasis. ومع ذلك صمّم ديوسقوروس، عن علم أو عن جهل، على محو ما فعله كيرلس عام ٤٢٣.

عندما واجه فلافيان وافسافيوس رفض افتيخيس بأن المسيح هو من جوهرنا نفسه تكلّما بوضوح على **طبيعتين** وكأنهما يرادفان **جوهرين**. فالوحدة المزدوجة في الجوهر عنت عندهما

٥٥- *Mansi*, VI, 665.

٥٦- *Mansi*, VI, 637; 676.677.

٥٧- *Mansi*, VI, 677.

٥٨- *Mansi*, VI, 681.

طبيعتين. بما أن لفظة **الطبيعة** ترادف لفظة **الجوهر** عند افتيخيس فقد ظن في بادىء الأمر أن صيغة كيرلس القائلة **بطبيعة واحدة** تعني **جوهراً واحداً**، لهذا السبب تردّد في قبول هاتين اللفظتين كاسمين لناسوت المسيح. وكيرلس استخدم لفظة **الجوهر** وكأنها مرادفة للفظة **الطبيعة** عندما تحدّث عن الثالوث الأقدس [٥٩]. والحق أنه لا مجال للتساؤل عن استخدامه للفظة **الطبيعة** بكونها مرادفة للفظة **الأقنوم**. لكنّه لا يتكلم أبداً على وجود **جوهر واحد** في المسيح، إنما يتكلم بوضوح على طبيعة المسيح البشرية بكونها من جوهرنا نفسه[٦٠]. في المسيحانية يستخدم **الطبيعة والاقنوم والشخص** كألفاظ مترادفة، لكنه لا يتكلم أبداً، على حدّ معرفتي، **على شخصين قبل الإتحاد وعلى شخص واحد بعده**، مثلما يفعل عندما يستخدم اللفظتين الباقيتين. إن صيغته «اقنوم الله الكلمة الواحد المتجسد» الواردة **في رسالته الثالثة إلى نسطوريوس** [٦١] **وفي دفاعه عن بنوده الاثني عشر** [٦٢] هي صيغة مساوية لصيغته «**طبيعة الله الكلمة الواحدة المتجسدة**». في ضوء كلّ هذه الأمور وفي ضوء ما قيل في مجمع خلقيدونية فإن الابسال المعلن في التحديد الإيماني ضد القائلين **بطبيعتين قبل الإتحاد وطبيعة واحدة بعده** كان معّداً لكلّ من يرفض مع افتيخيس أن المسيح هو من جوهرنا. لا

٥٩ - *Eg., Ad Monacbos, P.G.,* 77, 17.
٦٠ - *Mansi,* VI, 677.
٦١ - *P.G.,* 77, 116.
٦٢ - *Apologia Cap. II, P.G.,* 76, 401A.

شك في أن التحديد الإيماني يجب أن يشتمل على العبارة أو على **الجوهر** مثلما يجد المرء بعد ذلك عبارة **طبيعة واحدة** في الابسالين الثامن والتاسع من المجمع المسكوني الخامس. بذلك نتجنب الكثير من سوء التفاهم. وربما أن المجمع الرابع لم يفعل هذا الأمر لأن عبارة كيرلس طبيعة كلمة الله الواحدة من الجائز أن تكون مرادفة **لجوهر واحد** ولفظة **متجسدة** مرادفة **لجوهر ثان أو طبيعة ثانية**. وجواز ذلك يؤيده بوضوح المجمع الفلافياني الذي عقد عام ٤٤٨ وكذلك التفسيرُ الذي قدّمه فلافيان وافسافيوس كلاهما في افسس عام ٤٤٩ كما سبق وأشرنا. يجب الإشارة إلى أن عبارة **اقنوم كلمة الله الواحد المتجسد** وليس عبارة **طبيعة كلمة الله الواحدة المتجسدة** هي التي نجدها في رسالة **كيرلس الثالثة إلى نسطوريوس** والتي وافق عليها مجمعا افسس وخلقيدونية. هاتان اللفظتان تترادفان عند القديس كيرلس، لكن من الواضح تماماً أن المجمع الفلافياني عام ٤٤٨ أغفل المعنى الكيرلسي الحقيقي أو استعمال عبارة **طبيعة واحدة**، وذلك لمجرد أن عبارة **طبيعة واحدة بعد الإتحاد** لم تشتمل عليها رسائل كيرلس المجمعية التي كانت وحدها مألوفة عند كلّ المشاركين في المجمعين كليهما.

قال فلافيان في المجمع المقيم الذي عقد في القسطنطينية عام ٤٤٨ [٦٣] وفي اعترافه بالإيمان أن المسيح هو **من طبيعتين** [٦٤]. لكنه تحدّث في الوقت نفسه عن طبيعتين بعد الإتحاد.

٦٣- *Mansi*, VI, 680.

٦٤- Sellers, *op. cit.*, p. 131.

وفي مجمع خلقيدونية رفض ديوسقورس بقوة أيّ كلام على **اتحاد طبيعتين** (كما نجد في صيغة المصالحة التي وافق عليها كيرلس) وشدّد حصراً على **اتحاد من طبيعتين**. فهذا التشديد عنى عند ديوسقورس أن هناك طبيعة واحدة بعد الإتحاد. فلو كانت لهذه اللفظة الوظيفة نفسها عند فلافيان كما هي عند ديوسقوروس لوجد أسقف روما الجديدة نفسه مؤمناً مع افتيخيس بجوهر **واحد بعد الإتحاد**، لأن لفظة الطبيعة Physis عنت له جوهراً ousia. ورغم ذلك فإن ممثلي الأمبراطور تأثروا كثيراً باعتراض ديوسقورس على هذه المسألة، حتى أنهم استخدموه كمثل لإقناع الأساقفة بالحاجة إلى إعداد بيان إيماني. وفي هذه النقطة تدخّل اناطوليوس لتذكير المجتمعين بأن ديوسقوروس لم يُخْلع عن كرسيه لهرطقة، بل لأنه حرم لاون [٦٥]. وأثناء الحوار في الجلسة الخامسة قال ممثلو الأمبراطور إن لاون يقول **باتحاد طبيعتين**، فيما يقول ديوسقوروس **باتحاد من طبيعتين** وسألوا الحاضرين: «من تتبعون؟» فأعلن الأساقفة الاجلاء بقوة: نحن نؤمن مثلما يؤمن لاون والذين يخالفوننا هم افتيخيون [٦٦]. في ضوء ما حدث في الجلستين الثانية والرابعة مع كتاب لاون يتساءل المرء عمّا إذا قامت محاولة مدروسة في محاضر الجلسات لاظهار لاون في خلقيدونية بشكل أفضل حتى يعوّض عن الذلّ الواضح الذي تحمّله. فإذا ما أبقى المرء في ذهنه أن المجمع أخضع لاون لكيرلس فيجب أن يأخذ بجدّ الواقع الذي يدلّ

٦٥- *Mansi*, VII, 104.

٦٦- *Mansi*, VII, 105.

على أن عبارة **من طبيعتين** أو عبارة **واحد من اثنين** وردت مرات عديدة في رسائل كيرلس التي أفادت كأساس لمداولات المجمع. يُفْهم أن ديوسقورس جعل من هذه المسألة مسألة كبيرة، ولذلك صارت فيما بعد على النحو المشار إليه. يقدر المرء أن يدرك أن ممثلي الأمبراطور عندما طرحوا السؤال ظهر الجواب وكأنه انتصار كبير للاون. كان من الواجب أن تجابه اتيلا قوة امبراطورية متحدة في كلّ شيء، وكان أسقف روما الذي يجب ألا يذلّ الآن نافعاً منفعة خاصة. لكن حتى عندما تقبل عبارة **من طبيعتين** أثناء القراءة الأصلية لتحديد خلقيدونية الإيماني (مع أن المخطوطات تحوي عبارة **من طبيعتين**) فيجب اعتباره بياناً مقاوماً لافتيخيوس ودالاً على عبارة **في جوهرين**، لأن هذا ما رفضه افتيخيس. وهكذا رفض المجمع المسكوني الخامس عبارة **من طبيعتين** بكونها عبارة بدعية هرطوقية عندما أراد انصارها أن يعلموا بوجود **جوهر واحد** في المسيح. من المنطقي الإستنتاج أنه لو اقترح أحد عبارة **في طبيعتين** بقصد رفض عبارة كيرلس **من طبيعتين** لاعترض عليه المجمع بكل تأكيد. فجواب اناطوليوس لممثلي الأمبراطور يدلّ على أن قادة المجمع لم يكونوا مستعدين ليروا في هذه العبارات أيّ تناقض، وفي الواقع لم يكن هناك أي تناقض. ألا يقول اللاخلقيدوني أن المسيح هو من **جوهرين**. الطريقة نفسها التي يقول فيها **أنه من طبيعتين**؟ إذا كان لا يقول هذا القول فلن يتوقع من أي خلقيدوني أن يفعل ما لا يريده هو أن يفعله. وما تبقى إذاً هو التكلم على المسيح **بكونه من جوهرين أو في جوهرين**. هذا كلّ ما يعنيه

الخلقيدوني بقوله **من طبيعتين أو في طبيعتين**. يظهر أن التخاصم حول هذه الألفاظ كان نتيجة مزاج ينزع إلى اصطياد الهرطقات لجمع لاون وثيوذوريتوس في مخيم لاهوتي واحد بسبب التحالف بينهما.

قد يشير المرء أيضاً إلى أن مجمع خلقيدونية قبل **الاتحاد الاقنومي أو الإتحاد الطبيعي** إستناداً إلى أن كلّ ما فعله مجمع افسس عام ٤٣١، الذي فيه كانت رسائل كيرلس هي الجزء الأكثر أهمية، وهذه الرسائل حوت كلّ الفاظه الدليلية (الكلمات المفاتيح) وأفكاره في المسيحانية، وأدخلت مع رسالة كيرلس إلى يوحنا وكتاب لاون إلى التحديد الإيماني نفسه. يظهر بوضوح تام أن اللاهوتيين الخلقيدونيين في القرنين الخامس والسادس يجب أن يؤخذ موقفهم بجدية عندما يشيرون إلى أن مجمع خلقيدونية لم يعقد لادانة نسطوريوس، إلا لترداد ما فعله مجمع افسس عام ٤٣١ إنما عقد لمعالجة هرطقة افتيخيس.

إنّ لاون لم يستوعب أبداً النسطورية الخفية في لاهوت ثيوذوريتوس التي بدت في شكل ضخم في الأوساط الإسكندرانية. وعلى نحو مشابه فإن ديوسقوروس لم يعالج معالجة صحيحة خطر الأفتيخية. يجب أن نبقي في إذهاننا دائماً اللاتوازن الجدي في مواقف كلّ جهة تجاه المسائل المطروحة. فيما ركّز الخلقيدونيون على **الذين خلطوا بين جوهري المسيح**، فإن الإسكندرانيين كانوا لا يزالون يحاربون الذين **يفصلون الطبيعتين أو الأقنومين**. في ضوء ما تقدم سيكون من الحكمة أن ندخل

في حسابنا الظروف المختلفة لتعدد الألفاظ، لكن دون أن نبيح أبداً التعدد في الإيمان. إنني أقترح بأن تعطى أهمية جدية للمجمع المسكوني الخامس، لا بكونه مجمعاً غيّر موقف مجمع خلقيدونية، بل بكونه قد فسرّه تفسيراً صحيحاً. إذا كنا نوافق على معنى مسيحانية كيرلس فيجب أيضاً أن نكون مرنين مثله في قضية المصطلحات. في هذا الصدد يجب أن يقبل اللاخلقيدونيون كيرلس كلّه، بما فيه مصالحة ٤٣٣، ويجب أن يوقف الخلقيدونيون المبالغة في تأكيد كيرلس في مصالحته عام ٤٣٣.

النقاش المتعلق بورقة الأب رومانيذس:

الأب مـاينـدورف: إنني مسرور جـداً، لأن الأب رومانيذس يتحدّث هذه المرة بهذه الـطريقة الإيجـابية عن كتـاب لاون، وآمل أن يقرأه اللاخلقيدونيون على هذا الضوء. فـإطراء لاون في أعمال مجمع خلقيدونية يجب النظر إليه كخـطوة توفيقيـة في ضوء النزعة المقاومة لروما في القوانين الخلقيدونية.

الأب رومـانيـذس: إن رأيي هـو أن تبنّي المفـردات الثالوثية في المسيـحـانيـة كان في البدء شيئاً عرضياً إلى حدّ ما. وفي مجمع الإسكندرية المنعقد عام ٣٦٢ والذي تـرأسه القـديس أثنـاسيوس الكبـير تقرر تبني الـطريقة الكبـادوكية في التمييـز بين الأقنوم Hypostasis والجوهر ousia عند الحـديث عن الثالـوث الأقدس. ولم يتخذ المجمع أي قرار يتعلق بالطبيعة physis التي كـانت، حتى بروز التمييـز الكبادوكي، مـرادفـة لكـلّ النتـائـج العملية المتعلقة بـالأقنوم Hypostasis والجـوهر ousia كليهـما. فكانت حصيلة هذا الأمر أن التقليد الكبادوكي توصّل إلى جعل لفظة الطبيعة Physis مساوية للفظة الجوهر ousia، أمـا التقليد الإسكندراني فجعل لفظة الطبيعة physis مساوية للفظة الأقنـوم hypostasis . يجب مراعاة الطبيعة العـرضية للمسـاواة بين

الطبيعة physis والأقنوم hypostasis أو الجوهر ousia مراعاة جدية، حتي نفهم تاريخ المجادلات المسيحانية بين ٤٤٨ و٤٥١ كما وُصفت في بحثي. في حمى المجادلات المعتمدة على تبرير الذات بعد عام ٤٥١ أعلنت كلّ جهة استئثارها بفهم المعنى الدقيق للفظة الطبيعة الأمر الذي لا يُدَافع عنه من وجهة نظر تاريخ العقائد. فالإخفاق في تحقيق هذا الأمر يرجعنا إلى الجدل السخفيف حول تفوّق آباء جهة واحدة على جهة أخرى. يجب أن نكون واضحين في أن الكبادوكيين عندما تحدّثوا عن طبيعتين بعد الاتحاد عنوا بذلك جوهرين، في حين أن اللاخلقيدونيين، كما أشار بوضوح إلى ذلك الأب صموئيل، عندما تحدّثوا عن طبيعة واحدة بعد الاتحاد ما عنوا بذلك جوهراً واحداً.

الأب ميندورف: رأى جميعهم أن لفظة الطبيعة physis تدلّ على كائن ملموس. المسيحانية الإنطاكية شدّدت على الفكرة القائلة بأن أعمال المسيح الملموسة يمكن أن تنسب بشكل مختلف إلى الناسوت واللاهوت، الذات هي واحدة ـ أي المسيح.

الأب رومانيذس: لكنّ كيرلس ينسب كلّ شيء إلى الكلمة في الجسد لا إلى المسيح فقط كما فعل النساطرة (المتنسطرون) وكما أشرت في بحثي.

الأب فرجيزه: ماذا نعني بأن للمسيح جوهرين بعد الاتحاد؟

الأب رومانيذس: في التقليدين الكبادوكي والإسكندراني يبقى جوهر الله وراء نطاق كلّ المقولات الفكرية على نحو جذري، ولذلك لا يبقى وراء أي تحديد من أي نوع فقط، بل وراء إسناد أي اسم له مهما كان، إلى حدّ أن الله هو فوق كلّ اسم hyper – onymos وفوق كلّ جوهر hyper – ousios وفوق الله hyper – theo. ضمن هذا التقليد الكتابي يبقى جوهر الإنسان أيضاً سرّاً. ما يمكن أن نعرفه فقط هو أفعال الإنسان والله وقواهما. بهذا المعنى لم تستخدم لفظة **الجوهر** بالمعنى الفلسفي اليوناني أي بمعنى الحقيقة الداخلية المحدّدة والمعروفة والثابتة للأشياء، إنما كحقيقة ملموسة وغير معروفة إلّا في أفعالها. وبخلاف التقليد الإنطاكي واللاتيني (الأغوسطيني) فإن لفظة **الجوهر** عندما يخصّصها الآباء الكبادوكيون والإسكندرانيون للثالوث الأقدس لا تكون طبقة أفلاطونية للعالم الفوقي ولا مادة أرسطية للطبقة السفلية يشارك فيها أقانيم الثالوث الأقدس. فالمسيح، إذاً، بكونه في **جوهرين** يعني فقط أن ربنا، ابن الله المولد الأوحد، موجود في حقيقتين معيّنتين، لكنهما كاملتان وتامتان وغير محدّدتين، واحدة منهما موافقة له من حيث الطبيعة ومميزة في الاتحاد في الفكر فقط. وعبارة في طبيعتين لها أصل لاتيني، والآباء الكبادوكيون المشرقيون في خلقيدونية ترجموها بعبارة في طبيعتين physis باليونانية. وتحت ظروف طبيعية أكثر ربما قبل الإسكندرانيون اللفظة بلغتهم اللاهوتية وكأنها في **جوهرين**. في هذا المعنى المقاوم للأفتيخية فقط يجب أن يفهم اللاخلقيدونيون عبارة في

طبيعتين التي غايتها إقصاء فكرة الجوهر الواحد بعد الاتحاد.

الأب صموئيل: إنني مسرور جداًببحث الأب رومانيذس من وجهات نظر متعددة. أولاً، إنني فوجئت مفاجأة سارة بأن البحث لا يُدافع عن ثيوذوريتوس. ثانياً، بأن مجمع أفسس (٤٤٩) لم يحكم عليه حكماً فورياً. فالبحث أكثر صفاء في هذه النقطة من أكثر مؤرخيّ الكنيسة الغربيين. تبقى بعض الصعوبات عند من يقرأ محاضر جلسات المجمع، فهي لا تعطيني نفس الانطباع التي تعطيه للأب رومانيذس. فمثلاً، خذ رسالة كيرلس الثالثة إلى نسطوريوس مع الإبسالات الاثني عشر، فهي لم تقرأ في خلقيدونية. مندوبو الأمبراطور رجعوا إلى رسالتي كيرلس القانونيتين اللتين قرئتا وصدق عليهما في أفسس عام ٤٣١، لكن الرسالتين اللتين قرئتا في خلقيدونية كانتا فقط الرسالة الثانية إلى نسطوريوس ورسالته إلى يوحنا الإنطاكي أو صيغة إعادة الاتحاد عام ٤٢٣. فمن وجهة نظر القراءات فإن الرسالة الثالثة مع الإبسالات أغفل ذكرهما. هناك إشارتان لها في خلقيدونية. الأولى: في تدخل أتيكوس أسقف نيكوبولس الذي أراد مقارنة كتاب لاون مع الإبسالات الاثني عشر. والثانية، في الإشارة الضمنية لصيغة خلقيدونية إليها كإحدى وثائق الإيمان.

فكيف يقدر أن يقول الأب رومانيذس إنّ فصول كيرلس الاثني عشر كانت في فكر المجمع عندما قبل كتاب لاون؟

الأب رومانيذس: إن الأب صموئيل مصيب في قوله بأن **رسالة كيرلس الثالثة** إلى نسطوريوس وكذلك **البنود الاثنا**

عشر أُغفل ذكرهما. لكن بعد قراءة كتاب لاون رُفع طلب ناجح بأن يقارن **بنود كيرلس الاثني عشر** حتى يروا إذا ما كان أرثوذكسياً أم لا. ويجب ألاّ نغفل الواقع الذي يدل على أن الأكثرية الكاثرة من الأساقفة في خلقيدونية كانوا كيرلسيين، ولذلك كانوا قادرين على فرض **البنود الاثني عشر** كمقياس لإيمان لاون. وبعد خلقيدونية فإنّ لاون نفسه حاول أن يهدّئ أعداءه معلناً أنّه كيرلسي على نحو جازم (أنظر مثلاً رسالته CXVII, 3). أظن أن على المرء أن يراجع الاقتباسات الواردة في بحثي طبقاً لمحاضر الجلسات من أجل توثيق ما قُوّم فيها.

الأب صموئيل: إنني مسرور لسماعي أن الفصول الاثني عشر قبلها مجمع خلقيدونية، مع أن هذا القبول بعيد عن الوضوح في المحاضر.

في مسألة إيباس مثلاً قال ممثلو روما إنهم قرأوا رسالته إلى ماريس الفارسي ورغم ذلك فهم يعتبرونه أرثوذكسياً.

الأب رومانيدس: لكن إيباس أُعيد إلى منصبه على أساس قبوله الرسمي، للبنود الاثني عشر، أكان صادقاً أم لا.

الأب صموئيل: وفوق ذلك، لو يمكنن أن أتابع، فلا وجود لقاعدة حتى يُصَرَّح أن ديوسقورس قبل أفتيخيس في الشركة، إلاّ إذا كان القصد من هذا التصريح هو رمي ديوسقورس باتّهام خطير. نرى عدة صعوبات هنا: أولاً يجب أن نوضح معنى كلمة «شركة» أو «Koinonoia» فهي تعني إما شركة

سرشكرية أو مجرد صداقة أو دعم. ما يجب برهانه، أن أُثيرت كتهمة، هو أنه بين مجمع القسطنطينية المقيم المنعقد عام ٤٤٨ ومجمع أفسس الثاني عام ٤٤٩ أعطى ديوسقورس لأفتيخيس شركة سرشكرية. هل هناك من شاهد على ذلك؟ ثانياً، لم تُذكر هذه التهمة في الدعاوى ضد ديوسقورس والمقدمة إلى المجمع. إنّ الإشارة الفريدة إليها توجد في ما أعلنه الوفد الروماني ضد ديوسقوروس. فهو قال إن ديوسقوروس قدّم الشركة kiononia إلى أفتيخيس قبل أن يردّه مجمع أفسس عام ٤٤٩ إلى كرسيّه، من دون أن يعين ماذا عنى بلفظة koinonia. ثالثاً، فيما كان أناطوليوس القسطنطيني يعرض الأسباب التي من أجلها أدين ديوسقوروس لم يذكر هذا الأمر كتهمة ضده. وهكذا إذا أراد المرء أن يأخذ بجدّ كلّي كلام الوفد الروماني، فأنه يعني فقط أن ديوسقوروس دعم أفتيخيس.

لكننا نقدر بحثك واتجاهه حقّ القدر.

الأب رومانيدس: في هذا الصدد أودّ أن أشير في بحثي أن ديوسقوروس دعم أفتيخيس بكونه يقبل التساوي المزدوج في الجوهر لابن الله المولد الأوحد. ومن جهة ثانية أن ديوسقوروس خُلع لأنه حرم لاون ولأنه تصرف تصرفاً غير قانوني. إنني لم أعط اهتماماً خاصاً لنوعية الدعم الذي تلقاه أفتيخيس من ديوسقوروس، مع أنه، في حدّ ذاته، ذو أهمية كبيرة.

المطران سركيسيان: في جهدنا الهادف إلى فهم أعمق

وأكثر ملاءمة لمجمع خلقيدونية مما اعتدناه في الماضي يجب ألاّ نغفل الجو العاطفي والسيكولوجي العام الذي حدث فيه المجمع والعوامل السياسية والتوترات التي كانت عناصر مؤثرة في وجهة سير المجمع. إذا كانت الأكثرية الكاثرة من الأساقفة كيرلسيين في تفكيرهم اللاهوتي فمن الغرابة أن يؤخذ كتاب لاون كصيغة معيارية للمسيحانية. فهناك أوجه متعددة أخرى موجودة في محاضر الجلسات بحاجة إلى أن تُراعى بعرض حسن التوازن وتقويم لروح المجمع ومحتواه. في هذا البحث أغفلت بعض الوجوه المهمة مثل دور كتاب لاون وإعادة ثيوذوريتوس وإيباس إلى كرسيهما، وروعيت فقط العناصر والوجوه الإيجابية. نحن نحتاج إلى تقويم أكمل للمجمع بكونه حدثاً تاريخياً.

الأب رومانيذس: إنني أُفاجأ ببعض ادّعاءات السهو والإغفال، لأن معظم بحثي مخصّص لدور كتاب لاون ومسيحانية ثيوذوريتس وعلاقتها بمسيحانية لاون، ومخصص للطريقة التي أُعيد فيها ثيوذوريتوس وإيباس في خلقيدونية. إنني أذهل أيضاً لأننا ما برحنا في هذه النقطة من حديثنا عن كتاب لاون نعود إلى «صياغة مسيحانية موحّدة النمط» في خلقيدونية. فمن السهل لك أن تستخدم التفسير اللاتيني لخلقيدونية ضدنا، لكن إذا تعين علينا أن نتوصل إلى نتيجة في أي مكان فعليكم أن تأخذوا بجدّ أكبر التفسير اليوناني الخلقيدوني لمنزلة كتاب لاون في المجمع الرابع.

الدكتور خلة: في تفسيرنا لأعمال خلقيدونية سيكون

توقعنا لاتفاق بين الطرفين غير واقعي. هذا البحث هو إلى حدّ ما دقيق في ما يقوله، لكنّ المعطيات اختيرت من منظور خاص. وكما قال المطران سركيسيان، إننا نحتاج إلى دراسة متوازنة أكثر لأعمال المجامع. من بين الأمور غير الدقيقة نأخذ مثلاً الصفحة ٨٧ حيث لا يصح القول بأن سويروس كان أول من وافق على طبيعتين «في الفكر» فتيموثاوس أورولس كان مصيباً في هذا الصدد وكذلك بطرس الإيبري وغيرهما. وفي الصفحات ٩٣ - ٩٩ أشعر بأنه يجب توضيح دور لاون في خلقيدونية. وعدد أساقفة مجمع خلقيدونية المعطى هو في أكثر الأحيان أسطوري. ربما هناك أكثر من ٣٦٠ أسقفاً في الواقع، ٧ منهم فقط كانوا من الغرب، وأسقفان من شمالي إفريقيا هرباً من الاجتياح، فكانا صدفة في خلقيدونية. وكان هناك ساعي لاون في القسطنطينية. هناك أسقفان من الغرب لا يتكلمان اليونانية. هؤلاء هم الذين أرادوا قراءة كتاب لاون.

قرئت الرسالة في لجنة مصغرة حضرها ٢٣ أسقفاً فقط. في الأعمال اللاتينية هناك أعداد مختلفة عن الأعمال اليونانية، لكن كتاب لاون لم يُقرأ في الجلسة الثانية. فمن الصعب أن تعتبر جلسة ١٣ تشرين الأول جلسة كاملة.

الأب بوروفي: كنت خائفاً من دخول دغل التفاصيل التي قد يكون الخروج منها ليس سهلاً. ففضلت أن أعدّ على أصابعي إنجازات هذا اليوم. إن النقطتين الأخيرتين اللتين أشار إليهما الأب مينبدورف في ورقته هما إنجاز حاسم. وعندما

سمعت الأب صموئيل يقول «نحن لسنا مونوفيزين» أيقنت إن هذا القول هو إنجاز آخر. وعندما تكلم المطران سركيسيان على المشاركة في المصطلح Communicatio Idiomatumكان كلامه إنجازاً آخر أيضاً. وأخيراً عندما سمعت الأستاذ كرميرس شعرت بأننا أصبحنا قرابى. ويظهر أنه يجب أن نكون قادرين على هذا الأساس على أن نجد صيغة موحّدة. ربما نكون مفعمين بالحماسة كثيراً ويجب أن نتكلم قليلاً كما قال الأستاذ فلورفسكي كمدافعين عن الشيطان advocatus diabolus. أود أن أتابع في هذا الخط السلبي. فهل هناك من حوار هنا، أم نجواء (مساراة النفس) ثنائية؟ أننا نقبل قبولاً صادقاً دفاع أخوتنا اللاخلقيدونيين عن ماضيهم. وجهتنا تقدر أن تقدم دفاعاً مشابهاً. إذا ما اتخذنا هذا الخط فإن خطوتنا التالية هي اللاهوت الجدلي. نحن نقول إننا لاهوتيون فرديون، أنا لا أعتبر نفسي هكذا. فكنيستي أرسلتني إلى هنا لاتكلم بالاصالة عنها لا من أجل حرب كلامية بل من أجل الوحدة. أنا هنا من أجل إيجاد الأساس المشترك كما اقترح في بحث الأستاذ كرميرس. كلّ المساهمات من الجهة الخلقيدونية تحمل روحاً مسكونية. فهي تبحث عن نقطة التقاء، ولعلّها تجاوزت هذا الحد. فروح كيرلس قوية. ونحن لسنا ضده. لكننا نحن الكنيسة، ولكن لسنا كنيسة كيرلس أو لاون أو ثيوذوريتوس أو أي شخص آخر. فالكنيسة هي فوقهم جميعاً. إننا لا نحتاج إلى قبول كلّ شيء من كيرلس. فمسيحانيته الأساسية مهمّة، لكن لاضرورةلرفض لاون وثيوذوريتوس في اسهامها البنّاء.

تاريخياً يجب ألا نذهب الى الدفاع عن أنفسنا. فما للتاريخ ملائكة نـور، ولا له مجـرد شسياطـين مظلمـة. في التاريـخ نجد رجـالاً يُحدثـون أثراً، وهم بـلا ريب رجال قـديسون، لكنهم لا يزالون بشراً. وحتى عند نسطوريوس نجد جوانب إيجابية كثيرة. يجب أن يعترف كلانا بميزة الـطرفين وضعفهـما. فالـروح القدس يعمل في الكنيسة ككل.

يجل أن ننظر إلى أساس الوحدة. أما التفاصيل فيمكن أن تحلّ إشكالاتها لجنة.

الأستاذ رومانيذس: لا شك في أن بحثي، كـما أشار المطران سركيسيان والأستـاذ خلة، كتبت من منظار معـين، لكن إتّفقّ أن تكون هذه النظرة هي نظرة الكثرة الكاثرة للمجمع التي لم تقبل كتاب لاون إلا في ضوء **بنود كيرلس الاثني عشر**. فإن كانت هذه النظرة هي الحصيلة الطبيعيـة لمجمع خلقيـدونية فلن تكون مذهلة عندما يأخذ المرء بجدّ الواقع التـاريخي بأن الـلاتين والانطاكيين، الذين هم وحدهم أيدوا تأييداً مطلقاً كتاب لاون، كانوا أقلية صغيرة في المجمع.

إنني سعيـد بـأن أسمـع أن سـويـروس لم يـكن أول اللاخلقيدونيين في قبـول طبيعتـين في الفكـر tei theoriai monei فقط بعد الإتحاد. إننـا لا نجد أيـة إشارة في محـاضر جلسات مجمع إفسس عام ٤٤٩ تدل على أن ديوسقـوروس مستعد لهـذا القبـول. ومع ذلـك أود أن أشير إلى أنـه لم يـطلب مني أن أدون كتاباً عن خلقيدونية، بل طلب مني عشر صفحات صـارت سبع

عشرة. ليس من أهداف مقالتي أن أناقش مثل هذه المواضيع التقنية المتعلقة بعدد الأساقفة وعدد الجلسات إلخ. أنا لا أقبل الفكرة التي تقول إن الجلسة الثانية ناقشت كتاب لاون من دون أن يكون قد قرىء أولاً. فالجزم في الجدل القائم حول كتاب لاون في الجلسة الثانية يمكن أن يُرى من خلال إعطاء الأساقفة خمسة أيام لفحص إيمان لاون في ضوء **بنود القديس كيرلس الاثني عشر**. تابعت الجلسة الرابعة البحث فكان قبول كتاب لاون لا يُرى بوضوح إلا على أساس آراء الأساقفة المدّونة وعلى أساس انعكاسها في تحديد خلقيدونية نفسه. هذه الوقائع لا جدال فيها، وأي تقليب أو تلاعب بمحاضر الجلسات لا يقلّل من أهميتها. أظن أن الصعوبة الأساسية التي نواجهها نحن خلقيدونيّي التقليد اليوناني هي أن هناك تحالفاً لاهوتياً خاصاً بين العلماء اللاتين (بما فيهم البروتستانت) واللاخلقيدونيين فيما يخص مجمع خلقيدونية. فكلّ منهما يحاول أن يبرهن أن خلقيدونية رفض **بنود القديس كيرلس الاثني عشر** وقبل كتاب لاون أما كتصحيح (هكذا يقول الغربيون) أو كتشويه (هكذا يقول اللاخلقيدونيون) لمسيحانية كيرلس. خلافاً لهذين الانتهاجين (اللذين لا يمثلان التقليد المركزي لمجمع خلقيدونية) فإن اليونانيين الخلقيدونيين يقرأون وثائق مجمع خلقيدونية في ضوء مجمع افسس الأول (٤٣١) ومجمع القسطنطينية الثاني (٥٥٣). فالصورة اللاتينية واللاخلقيدونية التي بها يُقَدَّم الاباء الأيلاريون **والثراقيون والاسيويون والبنطيون والكبادوكيون والفلسطينيون** والمصريون وكأنهم استسلموا أمام عدد ضئيل من الأساقفة

اللاتين والانطاكيين هي صورة كاريكاتورية لا علاقة لها بالتاريخ.

في ما يخص ملاحظات الأب بوروفي التي نرحب بها أود أن أضيف أن مقالتي ليست دفاعاً عن مجمع خلقيدونية، الذي أشرت إلى نقائصه، وليست دفاعاً عن الموقف اللاخلقيدوني، بل هي محاولة لفهم كيفية صمود التقليديين أمام تعقيدات التاريخ، وقد حافظا دائماً محافظة جوهرية على الإيمان الارثوذكسي نفسه. دراسة كهذه تستلزم بوضوح التتبّع التاريخي للحدس المركزي المشترك في الإيمان والعقيدة الذين لا يمكن أن تشوههما مآسي تاريخنا الخاص. هذا الواقع هو شهادة لمعنى الاستمرارية في الحقّ الذي لا تفرضه أية سلطة خارجية، بل هو ثمار الإشتراك في منهل الحقّ. فمحاولة تجنب التعقيدات التاريخية عند تعاملنا بعضنا مع بعض لا تقود إلا إلى عواطفية كاذبة لا توصل أبداً ولن توصل الى الوحدة، ولن تكون فعالة أكثر من نعامة تطمر رأسها في الأرض لحلّ مشاكلها الفورية. إن كنا نريد أو لا نريد فنحن من الناحية المسيحانية كنيسة كيرلس لأن مسيحانية كيرلس هي مسيحانية الكتاب المقدس والاباء والمجمع المسكوني الثالث والرابع والخامس والسادس. إن أعمال ثيوذوريترس في المسيحانية المقاومة لكيرلس أدانها المجمع المسكوني الخامس، أما كتاب لاون فلم يُقْبل أبداً كتحديد للإيمان. بنود كيرلس الاثنا عشر هي تحديدات للإيمان.